قصة آية

2

الجزاء العادل

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد

إشراف : أ. حمدى مصطفى

الناشر

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع

الجزاء العادل

قالَ تعالى :

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟
بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ
مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ
إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ
فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن
لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ
لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا
مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾
قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ
مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا
وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ
وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ
يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

[البقرة : ٦٧ :٧٣]

تَحْكِي لنا هذه الآياتُ عَنْ جريمَةِ قَتْلٍ ارتكبها فاعِلٌ مَجْهولٌ ؛ فَقَدْ فُوجِئَ بنو إسْرائيل بجُثَّةِ رَجُلٍ أَمامَ أَحَدِ بيُوتِهم ، لا أَحَدَ منهم يعْرِفُهُ ، ولَيْسَ بينَهُ وبين أَهْلِ الْحَيِّ عَداوةٌ أو ثأْرٌ أَوْ خُصومَةٌ .

وكادَ أَهالى الْحَيِّ يقْتَتِلُونَ ، حيْثُ أَلْقَى كلٌّ واحِدٍ منهُمُ الْمَسْئولِيَّةَ على الآخَرِ دونَ دليلٍ واضِحٍ يملكُهُ .

وفَجْأَةً ظهر للْقَتيلِ قريبٌ اسْمُهُ أَحيحَةُ بْنُ الْجلاَّح ، وأَخذ يُهدِّدُ ويَتَوعَّدُ ويُطالِبُ بالثَّأْرِ لعَمِّهِ الذى رَبَّاهُ وتَعَهَّدَهُ بالرِّعاية والتَّرْبيَة ، كما طالَبَ بدِيَةٍ كَبيرَةٍ تَتَناسَبُ مع مَكانَةِ عَمِّهِ ومنْزِلَتِه .

وعَبثًا حاولَ أَهالى الْحَيِّ أَنْ ينفُوا عَنْ أَنْفُسِهِمُ

التُّـهْمَـةَ ، فَـقَـدْ أَصَمَّ أُحَـيْـحَةُ أُذُنَيْـهِ وَقَالَ فِى تَصْمِيمٍ :

ـ لَنْ أَتَنَازَلَ عَنِ الثَّأْرِ لِعَمِّى مِمَّنْ قَتَلَهُ ، وَسَوْفَ أَتَّهِمُ صَاحِبَ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى وَجَدْتُ عَمِّى مُلْقًى أَمَامَهُ .

وَبَعْدَ أَنِ احْتَدَّ الْجَدَلُ وَازْدَادَتْ حِدَّتُهُ وَكَادَتْ تَحْدُثُ مَعْرَكَةٌ ، تَدَخَّلَ أَحَدُ الْعُقَلاَءِ مُهَدِّئًا الْمَوْقِفَ بِقَوْلِهِ :

ـ أَيَقْتُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَنَبِىُّ اللهِ مُوسَى بَيْنَنَا ؟

فَرَدَّ عَلَيْهِ أَحَدُهُمْ :

ـ وَمَاذَا سَيَصْنَعُ مُوسَى بِمَا نَحْنُ فِيهِ ؟ هَلْ سَيُحَدِّدُ لَنَا الْقَاتِلَ ؟

فَأَجَابَ الرَّجُلُ فِى هُدُوءٍ :

ـ مُوسَى عليه السلام نَبِىٌّ يُوحَى إِلَيْهِ ، وَلَوْ عَرَضْنَا

عليـه الأمـر لوجـدنا عنده الحل المناسب الذى يحسم هذا الصراع ، فقد ينزل عليه الوحى من الله ليعلمه بحقيقة الأمر .

اقـتنع الحـاضـرون بهـذا الرأى ، وحـملوا قـضيتـهم الشـائكة وذهبـوا إلى مـوسى عليه السلام ، فطلب منهم موسى مهلة حتى يناجى ربه .

وبعد مناجاة موسى مع ربه جمع بنى إسرائيل ليخبرهم بما قاله الله عز وجل فى هذا الموضوع فقال لهم :

ـ إنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة .

وتعجب بنو إسرائيل من ذلك وقالوا لموسى عليه السلام :

جـئناك لكى تسـاعـدنا على حل هذا اللغز ، فإذا بك تسخر منا وتستهزئ بنا .

وفي حسمٍ وحزمٍ قال موسى عليه السلام :

ـ أعوذُ بالله أن أكون من الجاهلين .

وأنكر موسى على قومه ذلك ، فهو النبى المُرسَل من عند الله ، ولا يمكنُ أن تصدر عنه مثلُ هذه التصرُّفات .

وعندما وجد بنو إسرائيل أن نبيهم قد أغضبه كلامهم اعتذروا له ، ثم أعادوا عليه السُّؤال قائلين :

ـ إذا كان الأمرُ على ما قلت فاطلب من ربك أن يبين لنا طبيعة هذه البقرة .. وبعد حديثه مع ربه أخبرهم موسى عليه السلام بأن الله تعالى يخبرهم أن البقرة المقصودة لها أوصافٌ معينةٌ ، فهى ليست كبيرة مسنة وليست صغيرة حديثة السن ، بل هى وسطٌ بين ذلك ، ثم أمرهم أن

يَمْتثِلوا لأَمْرِ اللّٰه علَى الْفوْرِ حتى لا يتعرَضُوا لغَضَبِ الله ونقْمته .

وعاد بنُو إسْرائيل مرَّةً أُخْرَى يسْأَلون عنْ لَوْن الْبقَرة فأَخْبرهُمْ مُوسَى عليه السلام بأنها بقَرةٌ صفْراء فَاقِعٌ لَوْنُها ، يُعْجِبُ منْظَرُها من ينْظُرُ إلَيْها .

ولَمْ يمْتثِلْ بنُو إسْرائيلَ لأَمْرِ اللّٰه بذَبْحِ بقَرة كما أخْبرَهُمْ ، فعادوا يعْتذِرُونَ لِموسَى ويقولونَ :

ـ لقَدْ بحثْنا عن بقَرةٍ بهذه الْمُواصفَات ، فوجَدْنا الْكثير مِنَ الأَبْقار التى تشْترِكُ فيها ، ولذلكَ ليْتكَ تسْألُ ربّكَ سُؤالاً أَخيرا أنْ يُحدّدَ لنا هذه الْبقَرةَ ، حتَّى نفْعلَ ما يُريدهُ بالضّبْط ولا نُخالفَ أَوامرَهُ .

وأخيرا امتثل بنو إسرائيل لأمر الله عز وجل بعد أن أخبرهم موسى بالوصف الدقيق لهذه البقرة ، فهى بقرة لم يذللها العمل ولا يسقى عليها .

وطاف بنو إسرائيل بالبلاد حتى يجدوا هذه البقرة بأوصافها التى حددها الله تعالى .

وبعد جهد مضن وجد بنو إسرائيل هذه البقرة عند يتيم فعرضوا عليه شراءها فرفض ، فظلوا يزيدون فى ثمنها حتى اشتروها منه بمبلغ كبير ومال وفير .

وكان والد هذا الغلام اليتيم رجلا صالحا ، ولم يكن يملك سوى هذه البقرة فلما اقترب أجله دعا ربه قائلا :

ـ اللهم إنى أستودعك هذه البقرة لابنى حتى يكبر .

وَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِدُعَاءِ هَذَا الرَّجُلِ ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْبَقَرَةُ سَبَبًا فِي ثَرَاءِ الابْنِ وَغِنَاهُ بَعْدَ أَنْ بَاعَهَا وَحَصَلَ مِنْ ثَمَنِهَا عَلَى مَالٍ وَافِرٍ .

وَبَعْدَ تَرَدُّدٍ طَوِيلٍ ذَبَحَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْبَقَرَةَ ، وَمَا كَادُوا يَذْبَحُونَهَا بِسَبَبِ غَلَاءِ ثَمَنِهَا ، وَخَوْفًا مِنَ افْتِضَاحِ أَمْرِ الْقَاتِلِ .

وَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُوسَى بِأَنْ يَضْرِبَ الْقَتِيلَ بِعُضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ هَذِهِ الْبَقَرَةِ ، حَتَّى يَعُودَ حَيًّا وَيَنْطِقَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ بِاسْمِ مَنْ قَتَلَهُ .

وَعَلَى الْفَوْرِ عَادَتِ الْحَيَاةُ إِلَى الرَّجُلِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَسَأَلَهُ الْحَاضِرُونَ :

ـ مَنْ قَتَلَكَ ؟

وَعَقَدَتِ الدَّهْشَةُ أَلْسِنَةَ الْحَاضِرِينَ ، وَهُمْ يُشَاهِدُونَ الرَّجُلَ يَتَفَحَّصُ وُجُوهَهُمْ

بِعنايَةٍ ثُمَّ ينْظُرُ إِلى ابْنِ أَخِيهِ أحيحة بنِ الْجلاحِ ويقولُ :

ـ هذا ابْنُ أَخِي الْعاقُّ الذى قتلنى .

ولَمْ ينطقِ الرَّجُلُ سوى هذه الْكَلمات ثمَّ فارَقَ الْحياةَ ، بعْدَ أنْ شَهِدَ النَّاسُ بأَعْيُنِهِمْ مُعجزةَ إِعَادَةِ الْحياةِ للأَمْواتِ ، كما سمِعُوهُ بآذانهِمْ وهو يُقِرُّ بأَنَّ ابنَ أخِيهِ هو الذى قتلَهُ ، بسببِ طَمَعِه ورَغْبَتِه فى أنْ يرِثَهُ ، وأَنْ يأْخُذَ دِيَةً كبيرةً مِنَ الأَبْرياءِ .

واقْتِيدَ الْقاتِلُ وهو يرْسُفُ فى أغْلالِه لكَيْ ينالَ جَزاءَهُ ، وهو يبْكِي ندَمًا على فعْلَتِه الشَّنْعاءِ .

ولَمْ يكُنْ أحَدٌ بيْنَ الْحاضرين أَكثَرَ سعادةً من أُولئكَ الأَبْرياءِ الَّذين اتَّهَمَهُمُ الْقاتِلُ بارْتكابِ هذه الْجريمةِ النَّكْراءِ ، فقالوا فى سَعادةٍ :

- حقًا من قتل يُقتَلُ ولَوْ بعْد حينٍ . وإنَّ الطَّمع يُقلِّلُ ما جمع .

وفي هذه الْقِصَّةِ الْعجيبة يَعْرِضُ لنا الْقُرآنُ الْكريمُ بعْضَ الصِّفاتِ النَّفْسيَّة والْفكْريَّة والاجْتماعيَّة لبني إِسرائيل .

فهم يعْبُدُون الْمالَ ، ومنْ أَجْلِ الْمال يقْتُلُ الأَخُ أَخاهُ لِكي يرثَهُ ، ولا يتورَّعُ عنِ اتِّهامِ غيْره بالْباطلِ بقتْلِ أخيه حتى يحْصُلَ على مزيدٍ من الْمالِ ، ولذلك يُحَذِّرُنا اللهُ تعالَى منْ حُبِّ الْمال وعِبادته ، لأَنَّ ذلك هو أَصْلُ كُلِّ الشُّرُور والْجرائم . ولَمْ يمنعْنا اللهُ من الْحُصُول على الْمالِ بالْوسائلِ الْمَشْروعَة ، كالْعملِ الشَّريف الْحلال والاجْتهاد والْجدِّ .

قالَ تعالَى :

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

[الكهف : ٤٦]

كذلكَ عَرَضَتْ علينا هذه الآياتُ الْكَرِيمَةُ بعْضَ طِبَاعِ الْيَهُودِ الْعَجِيبَةَ والْغَرِيبَةَ ، وهى الْجدالُ الْمُسْتَمِرُّ وعَدمُ طَاعَةِ اللهِ ورَسُولِهِ .

فقدْ رأيْناهُمْ لا يُذْعنونَ لأَمْرِ اللهِ تعالَى بسُهُولَةٍ ، بلْ أَخَذُوا يُشَكِّكُونَ فى كَلامِ مُوسَى عليه السلام ، وكُلَّمَا عرَضَ عليْهِم أمْرًا جادَلُوهُ فيهِ وأَلَحُّوا عليْهِ بالسُّؤالِ ، وهذا دليلٌ على عَدَمِ إيمانِهِمْ باللهِ حقَّ الإيمانِ ، فلَوْ كانُوا يُؤْمنونَ باللهِ حقًّا لتأَدَّبُوا مع اللهِ ورَسُولِهِ ولاسْتَجابُوا لأَمْرِ اللهِ تعالَى بلا أدْنَى تَرَدُّدٍ أَوْ رَيْبٍ .

وَلذلكَ نَجِدُ أَنَّ أَنبِيَاءَ اللَّهِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إلى بَنِى إِسْرائيلَ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ - نَجِدُهُمْ يَضِيقُونَ بِبَنِى إِسْرائيلَ وَبِتَصَرُّفَاتِهِمْ وَبِكُفْرِهِمْ وَجِدَالِهِمُ الْمُسْتَمِرِّ وَارْتِكَابِهِمْ لِلْكَبَائِرِ وَالْمَعَاصِى .

قَالَ تَعَالَى :

لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾

[المائدة : ٧٨ : ٨٠]

وَفِى الْمُقَابِلِ نَجِدُ الْمُسْلِمِينَ الصَّادِقِينَ ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إِيمَانًا صَادِقًا ، وَيُطِيعُونَهُ فِى كُلِّ

ما يأمُرُ به ، لا يُجادلونَ ولا يعتَرِضُونَ على أمرِ اللَّه ، بلْ يتلقَّونَ أمْرَه بكلِّ احتِرامٍ وتوقِيرٍ واسْتسلامٍ .

قالَ تعالَى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

[الأحزاب : ٣٥ ، ٣٦]

ولقدْ كانَ صَحابَةُ الرَّسولِ ﷺ مثالاً يُحتذَى

فى طَاعَةِ اللّهِ ورَسُولِه حيْثُ نجِدُ الصَّحابىَ الْجليلَ سَعْدَ بنَ مُعاذٍ يقُولُ للرَّسُولِ ﷺ قبلَ غزْوَةِ بدرٍ الْكُبْرَى :

ـ يا رَسُولَ اللّهِ ، امْضِ لِمَا أرَاكَ اللّهُ ، فَواللّهِ لوَ خُضْتَ بنا الْبَحْرَ لَخُضْنَاهُ معَكَ ، واللّهِ لا نَقُولُ كما قالتْ بَنُو إسْرائيلَ لمُوسَى عليه السلام : اذْهَبْ أنْتَ وربُّكَ فَقَاتِلا إنَّا هَهُنا قَاعدُون ، ولكنْ نَقُولُ : اذْهَبْ أنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إنا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ .

فهلْ هُنَاكَ طاعَةٌ لأوامرِ اللّهِ ولرَسُولِه ﷺ أكْبرُ مِنْ ذلكَ ؟

ولا شَكَّ أننا نحنُ الْمُسْلِمينَ الْيَوْمَ أحْوَجَ ما نكُونُ للْعَوْدَةِ إلى طاعَةِ اللّهِ ورسُولِه فى كلٍّ جَوانبِ حيَاتنا حتى تسْتَقيمَ أُمُورنا وتنجح

مَـسيـرتِنَا ، لأَنَّ نجاحَ الْمُسْلمين مُـرْتَبِطٌ بِمَـدَى طاعَـتِـهِـمْ للهِ ورَسُـولِهِ والْتِـزامِـهِـمْ بِمَنْهَجِ اللهِ عـزَّ وجَلَّ .

قالَ تعالَى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾

[النساء : ٥٩]

رقم الإيداع : ١٧٥٧٧

الترقيم الدولي : ٧ ـ ٣٦٢ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧